وهل الإيمان إلا الحب ؟

(١١)

حب لقاء الله تعالى

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

بَعْدَ صَلاَةِ العِشَاءِ ، اجْتَمَعَ الشَّبابُ حَولَ مَائِدَةِ العَشَاءِ ، وانتَظَرُوا الإِذْنَ مِن أَمِيرِ الوَفْدِ ، الشَّيخِ (يَحْيىَ) فَهوَ أَكثَرهُم وَرَعاً ، وَأَغزَرهُمْ عِلْماً وَأَكْبرُهُم سِنّاً وَأكثَرهُمْ قُرْباً مِن سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَحَضَرَ الشَّيخُ وَأَكَلُوا عَلى بَرَكَةِ اللهِ.. ثُمَّ جَلَسُوا لِتَنَاوُلِ الشَّاي بِالقرْفَةِ ، فَراحَ الشَّيخُ (مُصطَفَى) يُحدِّثهُمْ بِحَديثٍ جَمِيلٍ:

أَنواع الشَّوقِ!!

قَالَ: رُوِيَ عَن الإِمامِ ابن قَيِّمِ الجَوْزِيَّة أَنَّه قَالَ: للشَّوقِ أَنواعٌ ثَلاثَةٌ:

١- شَوْقُ العَابِدِ إلى الجَنَّةِ ، لِيَأْمَنَ الخَائِفُ ، وَيَفْرَحَ الحَزِينُ ، وَيَظْفَرَ الآمِلُ.

٢ - الشَّوقُ إلى اللهِ عزَّ وجَلَّ ، لأَنَّ رُؤْيةَ اللهِ أَطْيَبُ مَا فِي الجَنَّةِ.

٣ - الشَّوقُ الذي يَضْرِمه صَفْوُ المَحَبَّةِ للهِ جَلَّ جَلالُهُ.

ثُمَّ اتَّجَهَ الشَّيخُ (مُصْطَفَى) نَحو الشَّبَابِ وَسَأَلَهُم:

مِن أَيِّ الأَنْواعِ الثَّلاثَةِ شَوقُكُمْ؟

فَرَفَعَ الشَّابُّ الذَّكيُّ (حُسَين) يَدَهُ وقالَ: نَحنُ قَدْ جَعَلنَا كلّ حَرَكاتِنا فِي هَذهِ الدُّنيَا تَبعاً لِمَا جَاءَ فِي سِيَرةِ حَبيبنا المُصْطَفَى مُحَمَّد ﷺ.

وَبدَتْ عَلاَمَاتُ السُّرُورِ عَلى وَجْهِ الشَّيخِ ، فَقَالَ: وَكيفَ ذَلِكَ يَا حُسَين؟

فَقَالَ الشَّابُّ: كانَ رَسولُ اللهِ دَائِمَ الشَّوقِ إلى لِقَاء اللهِ تعالى، لِذَلِكَ وَرَدَ فِي كُتُبِ الأَحَادِيثِ النّبويَّةِ أَنَّه صَلواتُ اللهِ عَليهِ كَانَ يُكثِرُ مِن هَذا الدُّعاء:

«اللَّهمّ إِنِّي أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَر إِلى وَجْهِكَ، والشَّوق إلى لِقَائِكَ».وَكَانَ صَلواتُ اللهِ عليهِ يُرِدِّدُ هَذا الدُّعاءَ: «اللَّهمَّ إِنِّي أَحْبَبْتُ لِقَاءَكَ فَأَحْبِبْ لِقَائِي».

وَكَانَ يَقولُ فِي أَواخِر حَياتِهِ: «إِنَّ رَجُلاً خَيَّرهُ رَبُّهُ بينَ أَنْ يَعِيشَ فِي الدُّنْيَا مَا شَاءَ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا، وَبيْنَ لِقَاءِ رَبِّهِ، فَاخْتَارَ لِقَاءَ ربِّهِ».

بَلْ كَانَ كُلَّمَا حَزَبَهُ أَمرٌ ـ أَيْ: أَهمَّهُ أَمْرٌ ـ كَانَ يَقُولُ لِمؤذِّنِهِ بِلاَلٍ ـ وَهُوَ يُعلِّمنَا كَيْفيَّة

الوُقُوف فِي وَجْه كلّ المَشَاكِلِ ـ: «أَرِحْنَا بِهَا ـ أَي أَرِحْنَا بِالصَّلاةِ ـ يَا بِلال» كيفَ لاَ؟ وَهُوَ صَلوَاتُ اللهِ عَليهِ الَّذِي يَعْرِفُ حَلاوَة الوُقُوفِ بَينَ يَدَي اللهِ ، لِذَلكَ قَالَ: «حُبِّبَ إليَّ من الدُّنيَا: الطِّيْبُ ، والنِّسـاءُ ، وَجُعلَتْ قُرَّةُ عَينِي فِي الصَّلاةِ».

بَلْ وحتَّى أَثْنَاء سَكَراتِ المَوْتِ ، كَانَ المُصْطَفَى صَلواتُ اللهِ عَليهِ يُشِيرُ بِأصْبَعِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ وَهوَ يَقُولُ: «إلى الرَّفِيقِ الأَعْلى... إلى الرَّفِيقِ الأَعْلى».

فَنَحْنُ نَشْتَاقُ فِي اللَّيلِ والنَّهارِ إلى لِقَاءِ اللهِ تَعَالى ، وَهَذا مَنهَجُ القُرآنِ الكَرِيمِ وَهوَ يَصِفُ حَالَ المُؤْمِنينَ فِي الجَنَّةِ:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

[القيامة: ٢٢ ـ ٢٣].

نَسْأَلُ اللهَ تَعالَى أَن يُقوِّي فِينَا حُبّ لِقَائِهِ وَالشَّوْقَ الدَّائِمَ لَهُ..

مَا الفَائِدَةُ مِن حُبِّ لِقَاءِ اللهِ تَعالَى؟!

فَقَالَ الأُستَاذُ (زَينُ العَابِدين):

بَارَكَ اللهُ فِيكَ يَا حُسَين ، فَقَدْ أَحسَنْتَ وَأَجدْتَ..

وَأمَّا ثِمَارُ حُبّ لِقَاءِ اللهِ تَعَالى ، فَهِي كَثِيرَةٌ ، لَكِنّ أَهمّهَا:

١ـ العَمَلُ الخَيِّر ثُمَّ الاسْتِعْدادُ لِذلكَ المَوْقِفِ ، مِصْداقُ ذَلك قَولُهُ تَعالَى:

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وَقَدْ وَرَدَ فِي حِكَايةِ نَبيِّ اللهِ يُوسُف عَلَيهِ

السَّلامُ ، أَنَّهُ عِنْدَمَا وَصَلَ إلى المَرَاتِبِ العُلْيَا فِي الدُّنْيَا و.. ، عِنْدَئِذٍ سَأَلَ اللهَ تَعَالَى أَن يَنقُلَهُ إِلى مَا هُوَ أَعْلى مِن ذَلِك ، وَهِيَ مَرْتَبَةُ الجَنَّةِ ، حَيثُ لِقَاء اللهِ تَعَالَى:

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

[يوسف: ١٠١].

٢- وَأَنْ يَلْجَأَ الإِنْسانُ دَائِماً إلى حِمَى اللهِ وَسَاحَتِهِ ، فَيفِرّ مِنْ كُلِّ مَا يُغضِبُ اللهَ تَعالَى لَكِن لا يُحرَمُ مِن أَسْبابِ رَحْمَتِهِ وَثَوابِهِ ، فَينبغِ أَوامِرَهُ ، وَيَعمَل بِطَاعَتِهِ ، مِصْداقُ ذَلِكَ قَولِهِ تَعالَى:

﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات: ٥٠ ـ ٥١].

٣ـ الاسْتِعْدَادُ الدَّائِمُ: حَيثُ يَدَّخِرُ الإِنْسَانُ عَمَلاً صَالِحاً لِيومِ الرَّحِيلِ، وَيُبادِرُ فَيَجْعَل لَهُ عِندَ رَبِّهِ رَصِيداً مِن الزَّادِ والعَتَادِ، مِمَّا يَنْفعهُ، حَيثُ لاَ يَنْفَع هُنَاكَ مَالٌ وَلاَ جَاهٌ وَلاَ عَقَاراتٌ وَلاَ... ، إِلاَّ مَن أَتى اللهَ بِقَلبٍ سَلِيمٍ، لِذلكَ قَالَ اللهُ تَعالَى:

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾

[آل عمران: ١٣٣].

وَلِذَلِكَ نبَّهنَا المُصْطَفَى ﷺ إلى ذَلِكَ فَقَالَ: «اغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَك قَبلَ هَرَمِكَ، وَصحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَراغَكَ قَبل شُغلِكَ، وَحَياتَكَ قَبلَ مَوْتِكَ».

٤ـ كَفُّ الأَذَى عَن النَّاسِ، سَواءً كَانَ ذَلكَ

قَوْلاً أو عَملاً ، وَبالتَّالِي أَنْ يَحْرِصَ الإِنْسانُ عَلى أَنْ يُقَدِّمَ الخَيرَ ، قَالَ اللهُ تَعالَى:

﴿ فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾ [النساء: ٨٤].

٥ ـ الإِخْلاصُ للهِ ، وَإِقامَة الوَجْهِ دائِماً وَأَبداً لَهُ سُبْحانَهُ وَتَعالَى ، وَهَذا مَقامٌ عالٍ لا يَبْلغهُ إِلاَّ مَن وَصَلَ إلى دَرَجةِ حُبِّ لِقاءِ اللهِ تَعالَى والشَّوق إِلَيهِ ، مِصْداقُ ذَلِكَ قَولُهُ تَعالَى:

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٢].

ذَلِكَ لأَنَّ الرِّياءَ وَحُبَّ السُّمعَة وَمَا إِلى هُنالِكَ ، كُلُّ ذَلِكَ يبْطلُ جَزاءَ العَمَلِ الحَسَنِ ، لأَنَّ

المِيزانَ فِي قُبولِ الأَعْمَالِ هُوَ الإِخْلاَصُ للهِ تَعالَى:

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾

[الأعراف: ٢٩].

فَعَلَى كُلّ مُسْلِمٍ أَنْ يَتوَجَّهَ إلى رَبِّهِ بِكُلِّ إِخْلاصٍ عِندَ كُلّ مَسْجِدٍ، وَعندَ كُلّ عِبادَةٍ، وَعندَ القِيامِ بأَيّ عَمَلٍ صَالِحٍ، مَع النيَّةِ الصَّادقَةِ، وَالدُّعَاء الخَالِصِ للهِ أَنْ يَتقبَّلَ ذَلِكَ كُلهُ، مِصْداقُ ذَلِكَ قَولُ المُصْطَفَى ﷺ: «إِنَّ اللهَ لا يَنْظُر إِلى صُورِكُم وأموالكم، ولكنْ ينظرُ إلى قُلُوبِكُمْ وأَعْمَالِكُمْ».

وَعِنْدَئذٍ لاَ يَخَافُ المُؤْمِنُ مِنْ أَيّ شَيءٍ يَأْتِي، وَلاَ يَحْزَنُ على أَيّ أَمْرٍ فَاتَ، بَلْ يُسلِّمُ الأَمرَ

كُلّه للهِ تَعَالَى، لِيصِلَ إلى تِلْكُمُ الهَمْسَةِ الرُّوحيَّةِ الرَّائِعَة:

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾

[الفجر: ٢٧ - ٣٠].

وهذا مَا أَشَارَتْ إليهِ الآياتُ الكَرِيمَةُ:

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٢].

وَهَذا مَا تَفْتَقِدُهُ شُعُوبُ العَالَمِ اليَوم والسَّبَبُ الرَّئِيسيُّ هُوَ البُعدُ عَن مُراقَبةِ اللهِ والاهْتِمَام بِالمَآلِ القَرِيبِ فَقَطْ، أَمَّا المُؤْمِنُون فَهُمُ الذينَ يَعِيشُونَ فِي جَوِّ التَّسليمِ والرِّضَا:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

نَمَاذِجُ مِنَ الرَّعِيلِ الأَوَّلِ!!

فَقَالَ الشَّابُّ (مُهْتَدِي):

وَلِذَلِكَ عِندَمَا أَحبَّ الرَّعِيلُ الأَوَّلُ لِقَاءَ اللهِ تَعالَى ، وَازْدَادُوا شَوْقاً إِلَيهِ ، سَطَّروا صَحَائِفَ مِن نُورٍ لاَ مَثِيلَ لَهَا!!

فَذَاكَ بِلالُ بن رَبَاحٍ عِندمَا كَانَ يُعَانِي سَكَرَات المَوْتِ.. ، أَخَذَتْهُ سِنَةٌ مِنَ النَّومِ فَصَاحَتْ زَوْجَتُهُ: وَابِلاَلاهُ.. وَاحُزْنَاهُ!!

فَلمَّا اسْتَفَاقَ مِن غَيْبُوبَتِهِ قَالَ: لاَ تَقُولي ذلكَ ، بَلْ قُولِي: وَافَرْحَتَاهُ! غَداً نَلقَى الأَحِبَّة ، مُحَمَّداً وَصَحْبَه!!

فَقَالَ الشَّابُّ (مُعْتَزٌّ): وَذَلِكَ أَمِير المُؤْمِنين عَليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، بَينَمَا كَانَ يَتقدَّمُ المُسْلِمينَ

لِصَلاةِ الفَجْرِ ، (انقَضَّ) عليهِ (ابنُ مُلْجم) وَطَعَنَهُ بِخِنْجَرٍ مَسْمُومٍ فِي رَأْسِهِ ، فَسَالَتِ الدِّمَاءُ الزَّكيَّةُ عَلى لِحْيتِهِ وَصَدْرِهِ ، وَلمَّا تَأَكَّدَ أَنَّها لحَظَات المَوْتِ ، صَاحَ بِدُونِ خَوْفٍ وَلاَ جَزَعٍ ، وَهوَ يَرَى الطَّرِيقَ إلى اللهِ تَعالَى قَدْ فُتِحَ أَمَامَهُ: فُزْتُ وَربِّ الكَعْبةِ!!

وَقَالَ الشَّابُّ (حَسَن): وَذَلِكُم (عُمَيْر بن الحُمام) يُخْرِجُ فِي أُحُد بَعضَ التَّمراتِ ليأكُلهَا ، ثُمَّ يَلْتفِتُ إليهَا قَائِلاً: بَيْنِي وَبَينَ لِقَاء رَبِّي أن آكلَ هَذِهِ التَّمراتِ.

إنَّ ذَلِكَ أَمراً يَطُول ، فَألقَاهَا جَانِباً وانقَضَّ عَلى العَدُوِّ وَهوَ يَقُولُ: إنِّي لأشمُّ رَائِحةَ الجَنَّة مِن وَرَاءِ جَبَلِ أُحُد!!

وَدَمَعَتْ عَيْنَا الشَّيْخ (مُصْطَفَى) وَقَالَ: وَلِذَلِكَ يَا أَحْبَابِي ، عِندَمَا فَهِمَ الرَّعيلُ الأَوَّل

مَعْنَى الشَّوْقِ إِلَىَ اللهِ تَعَالَى ، وَازْدَادَ حُبُّ لِقَاءِ اللهِ فِي قُلُوبِهِمِ ، اقتَنَعُوا أَنَّ كلَّ مَا فِي الدُّنْيا سَيَبْقَى فِي الدُّنيا.. فَلاَ أَحَد يَحْمِلُ مَعَهُ مَالاً وَلاَ..!! وَلاَ أَحَد يخْلدُ فِي الدُّنْيا.. ، إِنَّما المَسْأَلةُ هِيَ العَمَلُ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَولُهُ تَعالَى:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨].

مِنْ هُنَا لاَ تَعْجَبُوا إِذَا قرأْتُم أَو سَمِعْتُم أَنَّ أَبا بَكْرٍ أَنْفَقَ مَالَهُ كُلَّهُ فِي سَبِيلِ اللهِ! وَبرَّرَ ذَلِكَ بِقَولِهِ: أَبقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ!!

وَلاَ تَعْجَبُوا إِذَا سَمِعْتُم أَو قرأْتُم أَنَّ الخَنْسَاءَ بَكَتْ أَخَاهَا صَخْراً ـ فِي الجاهِلِيَّةِ ـ عَشَرات السَّنَوات ، ثُمَّ لمَّا دَخَلَ الإِيمانُ قَلبهَا ، وَفَهِمَتْ مَاذا تَعْنِي مَحَبّة لِقَاء الله تَعَالَى ، دَفَعتْ بِأَوْلاَدِهَا الأَربَعَةِ إِلى المَعْرَكَةِ ، وَلمَّا عَلِمَتْ

بِخَبَرِ استِشْهَادِهِمْ رَفَعتْ كَفَّيْها إِلَى اللهِ وقَالتِ: الحَمْدُ للهِ الذي شَرَّفَنِي بِاسْتِشْهادِهِمْ ، وأسأَلُ اللهَ أَنْ يَجْمَعَنِي مَعهُم فِي دَارِ كَرَامَتِهِ!!

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُفَهِّمَنَا حَقِيقَةَ حُبِّ لِقَائِهِ.. والشَّوق إِليه ، إِنَّهُ السَّمِيعُ المُجِيبُ.

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِين